التيســير في التفســير

الجزء الأول

= البقــرة ـ آل عمران -

تأليــف

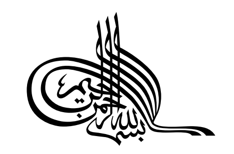
العالم الكبير فقيه القرآن

السيد/ بدر الدين بن أمير الدين الحوثي الحسني

تحقيــق

عبد اللـه بن حمـود العـزي   محمد بن بدر الدين الحوثي

الطبعـة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م



تقـــديـــم

بقلم/ نجـل المؤلف
السيد/ محمد بن بدر الدين الحوثي

الحمد لله رب العالمين الذي أنـزل القـرآن هـدى للمـتقين، وحجـة علـى الطغـــاة والمســـتكبرين ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال٤٢] والصلاة والسلام علـى رسـوله الأمـين الداعي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله الهداة الميـامين قرنـاء القـرآن الـذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

أما بعــد.. فإن القرآن الكريم هو الكتاب المحفوظ الذي لا يأتيـه الباطـل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والنور، والرحمة والخير والبركة، رسم الله فيه للأمة طريق عزها ومجدها ورفعتهـا وسموهـا، وأرشدها فيه إلى ما يوصلها إلى جنات النعيم، وينجيها من العـذاب الألـيم، وكفى بهذا رحمة ونعمة وتكريماً.

إنه منهج للحياة بكل مناحيها عقيدة وشريعة، ونظاماً يشمل كل جوانـب الحياة المادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية.

كما تزخر آياته بالحديث عن الأمم السابقة ومواقفها ومصير تلك الأمم كدروس وعبر لمن تدبر وتبصر، إضافة إلى الحديث المستفيض عن المستقبل عن اليوم الآخر ونقل صورة واضحة عن أحداثه وأهواله وما تؤول إليه أحوال العالمين، وأين يكون مصير الجميع من المؤمنين والكفرة المجرمين، مبينا الأسباب التي أدت إلى كلا المصيرين وسبل الاستقامة على الخط المستقيم، مما يعكس مدى رحمة الله ورأفته بالإنسان ليفوز بالجنة وينجوَ من النار.

وفي رحابه الكريم يتجول الإنسان مع الأنبياء والمرسلين ويعتبر ويتدبر في أحوالهم وأعمالهم ومجاهدتهم في اتجاه تعبيد الناس لله سبحانه، وصراعهم مع المشركين والمعاندين عبر العصور، وكيف مضوا في الدعوة إلى الله صابرين محتسبين، وما هي توجيهات الله لهم إزاء عناد المعاندين وإصرار المكذبين وخداع المنافقين، ليجد منهجاً متكاملاً يزخر بالحركة والجهاد والعمل، فيشكل كل ذلك زاداً للدعاة المخلصين، وسلاحاً بأيدي المؤمنين المجاهدين، يستلهمون منه ما يقوي العزائم ويشحذ الهمم للاستعلاء على مخططات الجاهلية الحديثة بصورها ورموزها في هذه المرحلة الحاسمة التي أطبق فيها الكفر والضلال ضد أولياء الله وأنصار دين الله في كل بقاع الدنيا.

إنه كتاب الحياة يحي القلوب الموات، ويحررها من أسر الضلال والجهالات، وينير لها الدروب في الظلمات، لتسلك السبيل إلى الله وإلى رضوانه وجناته.

وفي الحقيقة مهما قلنا ووصفنا فلن نصل ولو إلى جزء يسير مما يمكن أن يقال عن القرآن، مهما كانت قدرة الإنسان على الوصف والبيان، إلا أننا نتبرك بقبسات مما قاله الإمام الأواه الحليم، القاسم بن ابراهيم الرسي عليه صلوات رب العالمين، في (مديح القرآن الكريم) وهو كلام عظيم جدير بالتأمل والتدبر.

قال × في وصف القرآن الكريم: ((نور أعين القلوب المبصـرة، وحيـاة ألباب النفوس المطهرة، إلف فكـر كـل حكـيم، وسـكن نفـس كـل كـريم، وقصص الأنباء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة، ويقين شـكوك حـيرة أولـي الألباب، وخير ما صُحب من الأصحاب، سر أسرار الحكمة، ومفتـاح كـل نجاةٍ ورحمة، قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فأي مُنزِّل سبحانه ونازل وتنزيل.

لقد جل سبحانه وتنزيله عن كل تمثيل، وطهر وتقدس ـ إذ وَلِيَـه بنفسـه، ونزل به روح قدسه ـ عن قذف الشياطين وأكاذيبها، وافتراء مـردة الآدمـيين وألاعيبها، فأُحكم عن خطل الوهن والتداحض، وأُكِرم عن زلل الاختلاف والتناقض، فجُعل بآياتـه مترافـداً، وبضـياء بيناتـه متشـاهداً، غـير متكـاذب الأخبار، ولا متضايق الأنوار.

بل ضحيان النور، فيحان الأمور، سيحان الأنهار بالحيـاة المنجيـة، واسـع الأعطان والأفنية، ساطع النور والبرهـان، جـامع الفصـل والبيـان، فـأنواره بضيائه زاهرة، وأسراره لأوليائـه ظـاهرة، فمـا إن يـوارى عـن أهلـه الـذين أُسْتُودِعُوا علمه من سرائر سريرة، ولا يدع ما وضح من نوره في قلوبهم من مشكله حيرة، بعزائم حكماته المنزلة، ودلائل آياته المفصّلة))[1].

ويضيف × : ((سماويٌّ أحله الله برحمته أرضـه، وأحكـم بـه في العبـاد فرضه، فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبدا إلا به، ولا تُكشف الظلمـات إلا بثواقـب شهبه، مَن صحبه صحب سماوياً لا يجهـل، وهاديـاً إلى كـل خـير لا يضـل،

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي: ١/ ١٣٣.

ومؤنساً لقرنائه لا يُمَلُّ، وسليماً لمن صحبه لا يَغِلُّ، ونصيحاً لمن ناصحه لا يغشّ، وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حآبّهُ لا يبغض، ومقبلاً على من أقبل عليه لا يعرض، يأمر بالبر والتقوى، وينهى عن المنكر والأسواء، لا يكذب أبداً حديثاً، ولا يخذل من أوليائه مستغيثاً، إن وعد وَعْداً أنجزه، أو تعزَّز به أحدٌ أعزه)).

ثم يوصينا ويرشدنا × إلى الإهتداء بالقرآن والمحافظة عليه والاستفادة منه بقوله: ((فاتخذوه هادياً ودليلاً، واجعلوا سبيله لكم إلى الله سبيلاً، حافظوا عليه ولا ترفضوه، واتخذوه حبيباً ولا تبغضوه، فإنه لا يحب أبداً له مبغضاً، ولا يُقبل على من كان عنه معرضاً، ولا يُهدَى إليه من عاداه، ومن تعامى عنه أعماه، ولا يبصر ضياءه إلا من تأملَّه، ولا يُعْطِي هداه إلا أهله، من ضل عنه أضله، يُقلَّد جَهْلَه مَنْ جَهِلَه، إن أُدبِر عنه أدبر، أو أُقبِل عليه بصَّر..

إلى قوله: يعطي من قَبِلَ عطاه، ويمنع من أبى قبول هداه، يَقرُب لمن ارتضاه، ويَشْسع عمن سخط قضاه، يَعْلَنُ لأوليائه ويَظْهَر، ويكتتم عن أعدائه ويستر، نور هدىً على نور، وفرقان بين البِرِّ والفجور، أرشدُ زاجرٍ وآمر، وأعدل مقسط ومعذّر، يوقظ بزجره النُّوَماء، ويعظ بأمره الحكماء، ويُحيي بروحه الموتى، ولا يزيد من مات عنه إلا موتاً، يعدل أبداً ولا يجور، وكل أمره فَقَدرٌ مقدور، ظاهره ضياء وبهْجَة، وباطنه غور ولجّة، لا يُملك حَسنُ أنواره، ولا يُدرك باطنُ أغواره، فمن ظهر لظاهر مَنَاظِره، رأى أعاجيبه في موارده ومصادره، ومن بَطُنَ لمستَبطَنِه، رأى مكنون محاسنه، من غرائب علمه، وأطايب حِكَمِه، لبابُ كل لباب، وفصل كل خطاب، وحكمه من حكم رب الأرباب.

اكتفى به منه في هداه لأوليائه، واصطفى به من خصّه الله سبحانه باصطفائه، فمصابيح الهدى به تُزْهِر واهجة، وسُبُل التقوى به إلى الله تلوح ناهجة، يُحتاج إليه ولا يَحتاج، سراجه أبداً بنوره وهَّاج، يُعلِّم ولا يُعلَّم، ويُقوِّم ولا يُقوَّم، فهو المهيمن الأمين، والفاصل المبين، والكتاب الكريم، والذكر الحكيم، والرضى المقنع، والمنادي المسمع، والضياء الأضوى، والحبل الأقوى، والطود الأعلى، الذي يعلو فلا يعلى، ولا يؤتى لسورة مِن سوره أبداً بمثل ولا نظير، ولا يوجد فيه اختلاف في خبر ولا حكم ولا تقدير، فصل كل خطاب، وأصل كل صواب..»(٢).

ومؤلف هذا التفسير المبارك هو السيد العالم المجاهد ربيب الإيمان، ورضيع التقوى والعرفان، وفقيه القرآن، بقية الآل الأكرمين، حامي حمى العقيدة المطهرة، من أضاليل وافتراءات المشبهة المجبرة، المجاهد في سبيل الله، والقائم بشرع الله السيد/ بدر الدين بن أمير الدين بن الحسين بن محمد بن حسين بن أحمد بن زيد بن يحيى بن عبدالله بن أمير الدين بن عبد الله بن نهشل بن المطهر بن أحمد بن عبد الله بن عز الدين بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المظلل بالغمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين.

مولده: في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٥هـ قضى معظم عمره في نشر هدي الله والإصلاح بين الناس منذ أن غادر بلاده ومسقط رأسه مدينة ضحيان صعدة وهو في الثانية والثلاثين من العمر متوجهاً إلى بلاد خولان عامر،

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٣٤.

وكان هو المرجع الوحيد في الفتوى والإرشاد والتعليم، وفض النزاعات القبلية في تلك البلاد، حيث تنقل في عدد من مناطقها وكان لا ينتقل من منطقة إلى أخرى إلا بعد أن يترك الأثر الطيب على سلوكيات الناس وأخلاقهم ودينهم عموماً، وظل على هذا المنوال مدة خمسين سنة وهو مع ذلك يكابد المرض المزمن الذي ابتلى به منذ الصبا (مرض الربو) حيث لم يثنه ذلك عن القيام بالدور الأكمل والأشمل يبتغي بذلك رضوان الله وخدمة عباده.

إنه العالم الرباني الذي قصد القرآن الكريم في رحلة إليه منذ شبابه، حتى وصل إلى واحاته الخضراء، وغاص في أعماقه، وارتوى من ينابيعه الصافية ما أروى ظمأه، حيث مضى يتدبر القرآن آية آية، ويحول مفاهيمها إلى منهج عملي جهادي يعكس إرشادات وتوجيهات القرآن الكريم في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم والفضيلة، ومحاربة الجهل والرذيلة عبر كل الوسائل الممكنة توجيهاً وتدريساً وتأليفاً حتى نشأ وترعرع تحت رعايته وعنايته مجموعة من المستنيرين الذين مضوا على نهجه القرآني وخطه الإيماني، وتأثر بثقافته القرآنية الكثير الكثير من الجاميع المؤمنة، فكانوا الرافد الأقوى للمسيرة القرآنية المعاصرة، التي بدأت خطواتها في الثمانينات من القرن العشرين.

لقد كانت كتبه وإرشاداته القيمة هي الوقود لمسيرة الدفاع عن منهج أهل البيت الطاهرين، التي كشفت زيف وأباطيل المبطلين وتضليل المضللين، ولمن يريد معرفة حقيقة ما قلنا ينبغي له الإطلاع على ما تم طبعة من تلك المؤلفات المفيدة والتي تربو على (٣٥) مؤلفاً وخصوصاً كتابه (تحرير الأفكار عن تقليد الأشرار) وكذا كتابه (الغارة السريعة في الرد على الطليعة) فهما من أوسع ما كتبه رضوان الله عليه في الرد على الأفكار المنحرفة عن نهج القرآن والرسول ص.

إن هذه النفحات القدسية التي عطرت صفحات هذا المؤلف الجليل، وهذه الدرر التي تتلألأ بأنوار الهداية ليست وليدة لحظة جادت بها قريحته، أو مجرد فكرة آنية خطتها يده كما هو شأن معظم المفسرين، بل إنها مفاهيم راسخة تجذرت في داخله، وعلوم ربانية مكنونة بين جوانحه، وهي العلوم التي يمنحها الله من اختصه لذلك وارتضاه ممن اختارهم لوراثة كتابه، وتجلت لهم أسراره، فسبروا أغواره، وأشرقت في قلوبهم أنواره، فبدت على سلوكهم آثاره، مما يجعل المتصفح لهذا المؤلف الكريم، المتأمل لتلك اللفتات اللطيفة، والرؤى الثاقبة العجيبة يلمس تلك المسحة القدسية ويلحظ تلك المنحة الربانية، والهداية الإلهية التي خص بها ورثة الكتاب من السابقين بالخيرات، المُعدّين لبيان غامض الآيات.

فمرحى مرحى لطلاب علوم القرآن، وبشرى لعشاق المعرفة بقناعة واطمئنان، وهنيئاً لكل المتعطشين لهدي القرآن الكريم، بهذا المنهل الصافي، والبلسم الشافي والبيان الوافي، وسطع بأنواره من بين ركام الآلام والمشاكل والمحن، ولله الحمد والمنة الذي مَنَّ على مؤلفه بالرعاية والألطاف والسلامة والإعانة حتى تحقق الحلم، ورأى النور هذا المنجز العظيم، رغم قسوة الظروف، وتقلب الأيام، واضطراب الوضع، خصوصاً في السنوات الأخيرة، فتمت به النعمة على كل المؤمنين، وقامت به الحجة على جميع المعاندين، فهو كتاب ميسّر واضح البينات، قوي الدلالات غاية في الإنصاف بعيد عن التعصب، خال عن الغلو والتعسف، سهل العبارة دون تعقيد أو تكلف.

يقصد إلى بيان الحقيقة بأقرب طريقة، ويطرح ما وفقه الله لفهمه مهما بدا مجانباً لما قاله غيره، بأسلوب بعيد عن أساليب المتعاظمين الذين يسعون

للشهرة بتكلف الخلاف، والإعتساف في الأدلة وعدم الإنصاف، بل يطرح ما توصل إليه فكره بتواضع كبير، وبثقة العالم المستنير، يهدف إلى قول الحق، وبيان الصدق، لا يخشى في الله لومة لائم.

فلله ما أعظمها من نعمة أنعم الله بها على أمة الإسلام، وله سبحانه الحمد على فواضله وجزيل الإنعام، وجزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ومن عليه بدوام العافية والشفاء، وحفظه من كل الشرور والأسواء.

محمد بن بدر الدين الحوثي

ضحيان ـ صعدة

جمادى الثاني/١٤٢٩هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين.. وبعـــــد:

اعلم أن تفسير القرآن مفتاحه معرفة لغة العرب، لأن القرآن نزل بلسانهم، كما يحتاج إلى استمداد العون والتسديد من الله وإخلاص العمل له سبحانه وتعالى، والتسبب لهدايته وتنويره بالاستقامة على التقوى، ولهذا قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [الأنفال٢٩] وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد٢٨].

كما يحتاج إلى القدرة على استحضار الآيات المتماثلة لأنه كثيراً ما يتميز المعنى في آية بمعرفة نظيرها في القرآن، ويحتاج المفسر إلى التأني والتأمل والتثبت، ويستعين كذلك بالإطلاع على ما تيسر له من كتب التفسير للأئمة الطاهرين عليهم السلام وغيرهم لينتبه للمعنى المقصود، فأما تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله متى صح عنه فهو حجة، وكذا تفسير أمير المؤمنين × .

وقد اعتمدت كثيراً على تفسير القرآن بالقرآن إضافة إلى اعتماد الذوق العربي كوني بحمد الله أصيلاً في العربية نسباً وبلداً.

وقد يكون في التفسير خلاف بل هو الغالب فأكتب ما هو عندي الصواب ولا أتعرض للرد على خلافه رغبة في عدم التطويل، كما أنني أحياناً قد أخالف التفسير الشائع المتداول فأرجو حملي على السلامة وحسن النية وأن يجعله الناظر فيه سبباً للتأمل أو سؤال من تبين له وجه الترجيح أو سؤالي إن أمكن.

وكثيراً ما أعدل عن التفسير بالرواية لعدم صحتها عندي وكون مدلولها خلاف الظاهر أو لعدم صحة كونها رواية عن الرسول كما في تفسير (والنازعات) حيث لم يصرح القاسم × بنسبتها إلى النبي أوالوصي، فلذلك عدلت كثيراً عن اعتماد الروايات في التفسير، وقد أعدل عنه إلى ما لا يخالفها إلا بالتعميم أو الإطلاق، لأن القرآن لا يقصر على أسباب النزول ولا يوقف تفسيره على معرفتها بل هو مستقل بإفهام معانيه مع أن معرفة الأسباب وظروف النزول تعين على فهم المعنى، وينبغي للمفسر مراعاتها والتفسير بما يناسبها ما أمكن بدون عدول عن الظاهر، وقد اعتمدت على الظاهر وحاولت التمسك بالمعنى الحقيقي ما أمكن حتى توجد قرينة بيِّنة لإرادة المجاز.

وحيث تختلف القراءات اعتمدت قراءة أهل المدينة المنورة، وهي القراءة المشهورة، ولأنها قراءة أئمة الزيدية التي ورثوها عن آبائهم، كما اعتمدت كذلك قراءة حفص المروية عن أمير المؤمنين علي × المشهورة في العالم الإسلامي.

هذا ولقد كنت راغبا عن القيام بهذا العمل، رغم تكرر الطلب من كثير من الإخوان، وذلك لصعوبته والحاجة فيه إلى مزيد الحذر من التفسير بغير الصواب والقول على الله بغير علم والتفسير بالرأي، حتى جاء الولد حسين وبلغني طلب سيدي مجد الدين / أن أفسِّر القرآن، وذلك لما يلاحظ

من حاجة الطلاب مـن أبنـاء الزيديـة إليـه؛ لأن كتـب الزيديـة الأولـين في التفسير يتعسر تحصيلها، ولم يكـن قـد طبـع منهـا شـيء في ذلـك الوقـت، وبعضها قد فُقد، فرأيت أن أكتب تفسيراً صالحاً للمبتدئ في الغالـب أسـهّل عباراته بقدر ما أستطيع فاستعنت بـالله سـبحانه علـى هـذا العمـل وقمـت بتفسير القرآن الكريم بقدر الوسع.

وكنت ألازم العمل يوم كانت الفرصة سانحة، ثم حدثت شواغل أخـرت العمل بعض التأخير، ثم قامت الحرب علينا سنة١٤٢٤هـ وبها انقطعت عن مواصلة العمل وفارقت الكتب، ومضى بنا الوقت حتى ضعف البصـر ولمـا يكتمل التفسير، إذ كان قد بقي منه نحو ستة أجزاء من القرآن، حتى سنحت الفرصة فقمت بتفسيرها شفوياً وتسجيلها في أشـرطة كاسـيت وكـان ذلـك باللهجة الدارجة المستعملة في عصرنا.

وقد تـولى الولـد محمـد حفظـه الله تسـجيلها ثـم كتابتهـا باللغـة العربيـة الكاملة، وذلك من (سورة الصافات) إلى آخر (سورة التحريم) وبعـد ذلـك تمت مراجعته أكثر من مرة، أما (جزء تبـارك، وجـزء عـم) فقـد كـان تقـدم تفسيرهما من قبل، هذا وقد جرى بعض التعديل على ماقد كنت رجحته في تفسير بعض الآيات وذلك خلال الفترة الأخيرة الـتي أتيحـت لـي الفرصـة فيها للمراجعة والملاحظة للكتاب مع الولد محمد فلا يشكل هذا عند المقارنة مع المخطوط أو ماكان قد طبع من الكتاب.

وأسال الله قبول العمل وحسن الختام، والحمد لله رب العـالمين، وصـلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين.

بـدر الدين الحـوثي وفـقه الله

بتاريـــخ ربيع الثاني/سنة ١٤٢٩هـ